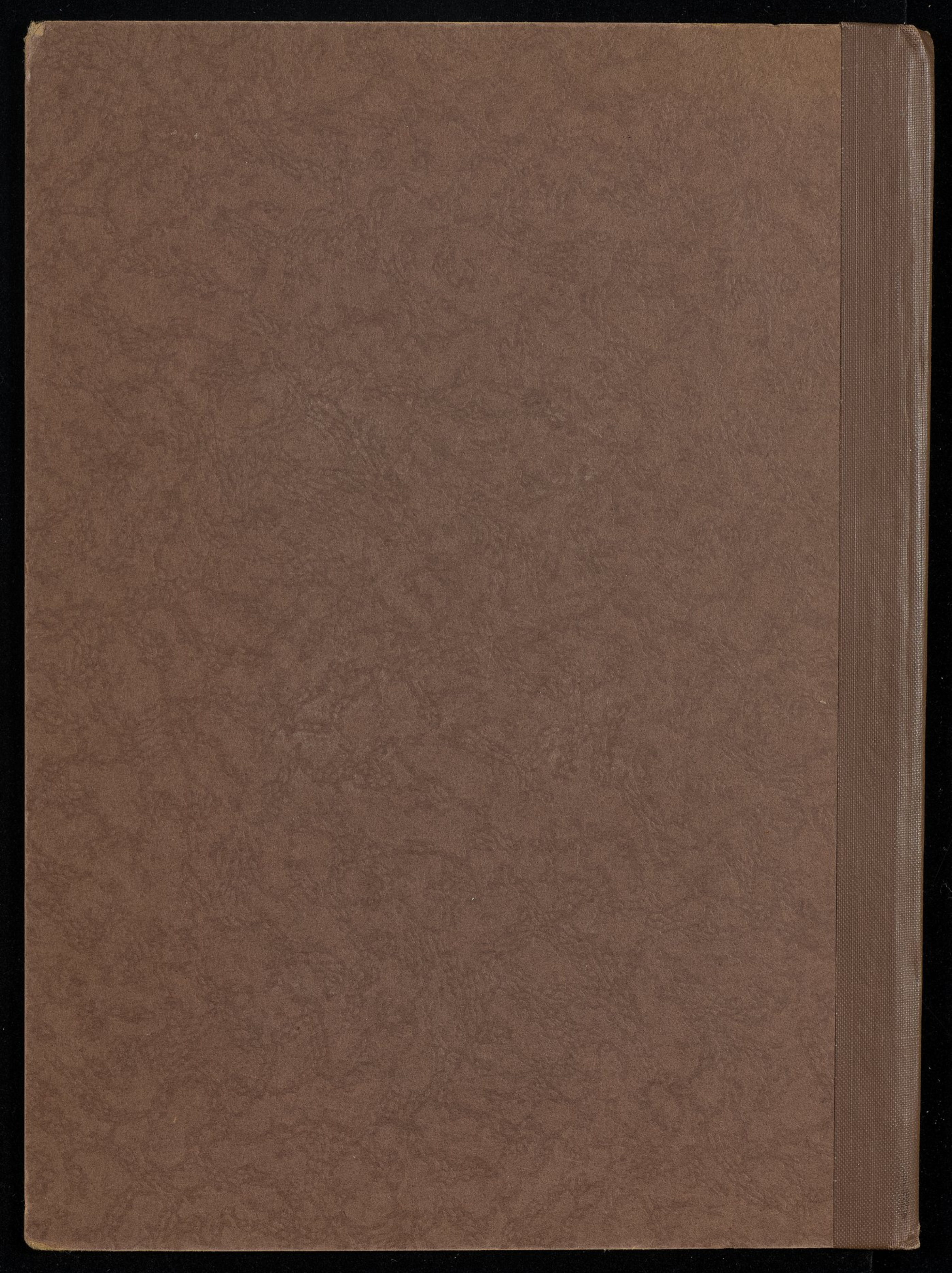



Gaylord
PAMPHLET BINDER
Syracuse, N. Y.
Stockton, Calif.


SIGILLVM · COLLEGII · COLVMBIAE · NOVI · EBORACI
IN LVMINE TVO VIDEBIMVS LVMEN

Arthur Jeffery

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الامام تقى الدين أحمد بن على المقريزى
المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

عُنيت بتصحيحه والتعليق عليه ونشره
للمرة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية

لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقى
بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

قوبل على نسختين مختلفتى التاريخ

مطبعة الشرق
لصاحبيها : عبد العزيز فايد وأخيه
بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

تجريد التوحيد المفيد

للشيخ الامام تقي الدين أحمد بن علي المقريزي
المتوفى سنة ٨٥٤ هجرية

عُنيت بتصحيحه والتعليق عليه ونشره
للمرة الأولى سنة ١٣٤٣ هـ

إدارة الطباعة المنيرية
لصاحبها ومديرها محمد منير عبده أغا الدمشقي
بمصر بشارع الكحكيين نمرة ١

قوبل على نسختين مختلفتي التاريخ

مطبعة الشرق
لصاحبيها : عبد العزيز فايد وأخيه
بحارة المدرسة رقم ٦ بجوار الأزهر بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين * والعاقبة للمتقين * وصلى الله على نبيّنا محمد خاتم النبيين * وعلى آله وصحبه أجمعين

أما بعد فهذا كتاب جمّ الفوائد بديع الفرائد ينتفع به من أراد اللهَ والدارَ الآخرة سميته تجريد التوحيد المفيد واللهَ أسأل العون على العمل به بمنه

إعلم أن الله سبحانه هو ربّ كل شيء ومالكه وإلهه : فالرب مصدر ربَّ يَرُبُّ ربًّا فهو رابٌّ : فمعنى قوله تعالى (رَبِّ العالمين) رابّ العالمين فان الرب سبحانه وتعالى هو الخالق الموجد لعباده القائم بتربيتهم واصلاحهم المتكفل بصلاحهم من خلقٍ ورزق وعافية واصلاح دين ودنيا * والالٰهية كون العباد يتخذونه سبحانه محبوباً مألوهاً ويفردونه بالحب والخوف والرجاء والاخبات والتوبة والنذر والطاعة والطلب والتوكل ونحو هذه الأشياء فان التوحيد حقيقته أن ترى الأمور كلها من الله تعالى رؤية تقطع الالتفات الى الأسباب والوسائط فلا ترى الخير والشر الا منه تعالى وهذا المقام يثمر التوكل وترك شكاية

الخلق وترك لومهم والرضا عن الله تعالى والتسليم لحكمه :

واذا عرفت ذلك فاعلم ان الربوبية منه تعالى لعباده والتأله من عباده له سبحانه كما ان الرحمة هى الوصلة بينهم وبينه عز وجل * واعلم أن أنفس الأعمال وأجلها قدراً توحيد الله تعالى غير أن التوحيد له قشران * الاول أن تقول بلسانك لا إله الا الله ويسمى هذا القول توحيداً وهو مناقض للتثليث الذى تعتقده النصارى وهذا التوحيد يصدر أيضاً من المنافق الذى يخالف سره جهره * والقشر الثانى أن لا يكون فى القلب مخالفة ولا انكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل القلب على اعتقاد ذلك والتصديق به وهذا هو توحيد عامة الناس * ولباب التوحيد أن يرى الأمور كلها لله تعالى ثم يقطع الالتفات الى الوسائط وأن يعبده سبحانه عبادة يفرده بها ولا يعبد غيره : ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوى فكل من اتبع هواه فقد اتخذ هواه معبوده : قال الله تعالى (أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلٰهَهُ هَوَاهُ)

واذا تأملت عرفت ان عابد الصنم لم يعبده انما عبد هواه وهو ميل نفسه الى دين آبائه فيتبع ذلك الميل : وميل النفس الى المألوفات أحد المعانى التى يعبر عنها بالهوى : ويخرج عن هذا التوحيد السخط على الخلق والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله كيف يسخط على غيره أو يأمل سواه : وهذا التوحيد مقام الصديقين ولا ريب أن توحيد الربوبية لم ينكره المشركون بل أقروا بأنه سبحانه وحده خالقهم

وخالق السموات والأرض والقائم بمصالح العالم كله وانما أنكروا توحيد الالهية والمحبة كما قد حكى الله تعالى عنهم فى قوله (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلّٰهِ) فلما سووا غيره به فى هذا التوحيد كانوا مشركين كما قال الله تعالى (الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِى خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) وقد علّم الله سبحانه وتعالى عباده كيفية مباينة الشرك فى توحيد الالهية وانه تعالى حقيق بافراده وليا وحكما وربا فقال تعالى (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا) وقال (أَفَغَيْرَ اللهِ أَبْتَغِى حَكَمًا) وقال (قُلْ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغِى رَبًّا) فلا ولىّ ولا حكم ولا ربّ الا الله الذى من عدل به غيره فقد اشرك فى ألوهيته ولو وحد ربوبيته فتوحيد الربوبية هو الذى اجتمعت فيه الخلائق مؤمنها وكافرها وتوحيد الالهية مفرق الطرق بين المؤمنين والمشركين ولهذا كانت كلمة الاسلام لا إله الا الله ولو قال لارب الا الله لما اجزأه عند المحققين * فتوحيد الألوهية هو المطلوب من العباد ولهذا كان اصل الله الاله كما هو قول سيبويه وهو الصحيح وهو قول جمهور اصحابه الا من شذ منهم :

وبهذا الاعتبار الذى قررنا به الاله وانه المحبوب لاجتماع صفات الكمال فيه كان الله هو الاسم الجامع لجميع معانى الأسماء الحسنى والصفات العليا وهو الذى ينكره المشركون ويحتج الرب سبحانه وتعالى عليهم بتوحيدهم ربوبيته على توحيد الوهيته كما قال الله تعالى (قُلِ الْحَمْدُ لِلّٰهِ

وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَاكَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلٰهٌ مَعَ اللهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) وكلما ذكر تعالى من آياته جملة من الجمل قال عقبها أإله مع الله فابان سبحانه وتعالى بذلك ان المشركين انما كانوا يتوقفون فى اثبات توحيد الآلهية لا الربوبية على ان منهم من اشرك فى الربوبية كما يأتى بعد ذلك ان شاء الله تعالى: وبالجملة فهو تعالى يحتج على منكرى الالهية باثباتهم الربوبية: والملك هو الآمر الناهى الذى لا يخلق خلقا بمقتضى ربوبيته ويتركهم سدى معطلين لا يؤمرون ولا ينهون ولا يثابون ولا يعاقبون فان الملك هو الآمر الناهى المعطى المانع الضار النافع المثيب المعاقب ولذلك جاءت الاستعاذة فى سورة الناس وسورة الفلق بالاسماء الحسنى الثلاثة الرب والملك والآله فانه لما قال (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ) كان فيه اثبات انه خالقهم وفاطرهم فبقى ان يقال لما خلقهم هل كلفهم وأمرهم ونهاهم قيل نعم فجاء (مَلِكِ النَّاسِ) فاثبت الخلق والأمر الاله الخلق والامر فاما قيل ذلك قيل فاذا كان ربا موجدا وملكا مكلفا فهل يحب ويرغب اليه ويكون التوجه اليه غاية الخلق والامر قيل (إِلٰهِ النَّاسِ) اى مألوههم ومحبوبهم الذى لا يتوجه العبد المخلوق المكلف العابد الا له فجاءت الآلهية خاتمة وغاية وما قبلها كالتوطئة لها وهاتان السورتان أعظم عوذة فى القرآن وجاءت الاستعاذة بهما وقت

الحاجة الى ذلك وهو حين سحر النبي صلى الله عليه وسلم وخيل اليه انه يفعل الشيء صلى الله عليه وسلم وما فعله واقام على ذلك اربعين يوما كما في الصحيح (١)

(١) وهو في الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها « قالت سحر النبي صلى الله عليه وآله وسلم رجل من بني زريق يقال له لبيد بن الأعصم حتى كان رسول الله صلى الله عليه واله وسلم يخيل اليه انه كان يفعل الشيء وما فعله حتى اذا كان ذات يوم او ذات ليلة وهو عندي لكنه دعا ودعا ثم قال ياعائشة اشعرت ان الله افتاني فيما استفتيته فيه أتاني رجلان فقعد احدهما عند رأسى والآخر عند رجلى فقال احدهما لصاحبه ماوجع الرجل فقال مطبوب قال من طبه قال لبيد بن الاعصم قال في اى شيء قال في مشط ومشاطة وجف طلع نخلة ذكر قال واين هو قال في بئر ذروان فاتاها رسول الله صلى الله عليه واله وسلم في ناس من اصحابه فجاء فقال ياعائشة كأن ماءها نقاعة الحناء أو كأن رؤس نخلها رؤس الشياطين قلت يارسول الله افلا استخرجته قال قد عافاني الله فكرهت ان اثير على الناس فيه شرا فامر بها فدفنت » هذا لفظ البخارى : وقد اختلف العلماء في سحر النبي صلى الله عليه واله وسلم قديما وحديثا فذهب الجمهور الى جواز ذلك ووقوعه وانه لايخالف العصمة فلا ينافى الحديث قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) لان سحر النبى صلى الله عليه واله وسلم كان من جنس ماكان يعتريه صلى الله عليه واله وسلم من الأسقام والأوجاع وهو مرض من الأمراض واصابته به كاصابته بالسم لافرق بينهما يدل له قوله صلى الله عليه واله وسلم في اخر الحديث « قد عافاني الله » قال ابن القيم في الهدي قال القاضي عياض والسحر مرض من الأمراض وعارض من العلل يجوز عليه صلى الله عليه وآله وسلم كأنواع الأمراض مما لاينكر ولا يقدح في نبوته وأما كونه يخيل اليه انه فعل الشيء ولم يفعله فليس في هذا مايدخل عليه داخلة في شيء من صدقه لقيام الدليل والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه في امر دنياه التي لم يبعث لسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للافات كسائر البشر فغير بعيد انه يخيل اليه من امورها مالا حقيقة له ثم ينجلي عنه كما كان : فكان غاية هذا السحر فيه صلى الله عليه واله وسلم انما هو في جسده وظاهر جوارحه لافي عقله وقلبه ولذلك لم يكن يعتقد صحة مايخيل اليه بل يعلم انه خيال لاحقيقة له : ومثل هذا قد يحدث من بعض الأمراض : وقد ذهب طائفة من المتقدمين الى انه لايجوز ذلك عليه صلى الله عليه واله وسلم وان هذا نقص في حقه صلى الله عليه واله وسلم وعيب وهو ينافى قوله تعالى (والله يعصمك من الناس) ومن المتأخرين الشيخ محمد عبده المصرى واطنب القول في رد سحر النبى صلى الله عليه واله وسلم ونفيه في تفسيره جزءعم : وحاصل كلامه فيه ولايخفى ان تأثير السحر في نفسه عليه السلام حتى يصل به

وكانت عقد السحر احدى عشرة عقدة فانزل الله المعوذتين احدى عشرة آية فانحلت بكل آية عقدة وتعلقت الاستعاذة فى اوائل القرآن باسمه الاله وهو المعبود وحده لاجتماع صفات الكمال فيه ومناجات العبد لهذا الآله الكامل ذى الأسماء الحسنى والصفات العليا المرغوب اليه فى ان يعيذ عبده الذى يناجيه بكلامه من الشيطان الحائل بينه وبين مناجاة ربه ثم استحب التعليق باسم الأله فى جميع المواطن الذى يقال فيها (أَعُوذُ بِاللهِ

الأمر الى ان يظن انه يفعل شيئا وهو لا يفعله ليس من قبيل تأثير الأمراض فى الأبدان ولا من قبيل عروض السهو والنسيان فى بعض الأمور العادية بل هو ماس بالعقل اخذ بالروح وهو مما يصدق قول المشركين فيه (ان تتبعون الا رجلا مسحورا) وليس المسحور عندهم الا من خولط فى عقله وخيل اليه ان شيئاً يقع وهو لا يقع فيخيل اليه انه يوحى اليه ولا يوحى اليه : والذى يجب اعتقاده ان القران مقطوع به وانه كتاب الله بالتواتر عن المعصوم صلى الله عليه واله وسلم فهو الذى يجب الاعتقاد بما يثبته وعدم الاعتقاد بما ينفيه وقد جاء بنفى السحر عنه عليه السلام حيث نسب القول باثبات حصول السحر له الى المشركين اعدائه ووبخهم على زعمهم هذا فاذا هو ليس بمسحور قطعاً : وأما الحديث فعلى فرض صحته آحاد والاحاد لا يؤخذ بها فى باب العقائد : وعصمة النبى صلى الله عليه واله وسلم فى تأثير السحر فى عقله عقيدة من العقائد لا يؤخذ فى نفيها عنه الا باليقين ولا يجوز ان يؤخذ فيها بالظن والمظنون على ان الحديث الذى يصل الينا من طريق الاحاد انما يحصل الظن عند من صح عنده أما من قامت له الأدلة على انه غير صحيح فلا تقوم به عليه حجة : وعلى اى حال فلنا بل علينا ان نفوض الأمر فى الحديث ولا نحكمه فى عقيدتنا ونأخذ بنص الكتاب وبدليل العقل فانه اذا خولط النبى صلى الله عليه واله وسلم فى عقله كما زعموا جاز عليه ان يظن انه بلغ شيئا وهو لم يبلغه او ان شيئا نزل عليه ولم ينزل عليه والامر ظاهر لا يحتاج الى بيان اه : والمسألة فى ذاتها محل بحث وقد ترك كثير من المنتسبين الى المذاهب الأخذ ببعض الأحاديث التى وردت فى صحيح البخارى ومسلم او غيرهما لقول امام لهم فى المذهب او لمخالفتها القياس فما هنا اولى لدفع شبه الملحدين وغيرهم وموافقة للقران القطعى فى ذلك : واذا علمت هذا تعلم ان ماذهب اليه المصنف هو قول الجمهور : والله اعلم

مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) لان اسم الله تعالى هو الغاية للاسماء ولهذا كان كل اسم بعده لايتعرّف الا به فتقول الله هو السلام المؤمن المهيمن فالجلالة تعرّف غيرها وغيرها لايعرّفها: والذين أشركوا به تعالى فى الربوبية منهم من أثبت معه خالقا آخروان لم يقولوا انه اله مكافىء له وهم المشركون ومن ضاهاهم من القدرية: وربوبيته سبحانه للعالم الربوبية الكاملة المطلقة الشاملة تبطل اقوالهم لانها تقتضى ربوبيته لجميع مافيه من الذوات والصفات والحركات والأفعال: وحقيقة قول القدرية المجوسية انه تعالى ليس ربا لأفعال الحيوان ولا تتناولها ربوبيته اذ كيف يتناول مالا يدخل تحت قدرته ومشيئته وخلقه:

وشرك الأُمم كله نوعان شرك فى الآلهية وشرك فى الربوبية فالشرك فى الآلهية والعبادة هو الغالب على اهل الاشراك وهو شرك عبّاد الأصنام وعبّاد الملائكة وعبّاد الجن وعباد المشايخ والصالحين الأحياء والأموات الذين قالوا (مَا نَعْبُدُهُمْ إلاَّ لِيُقَرِّبُونا إِلَى اللهِ زُلْفَى) ويشفعوا لنا عنده وينالنا بسبب قربهم من الله وكرامته لهم قرب وكرامة كما هو المعهود فى الدنيا من حصول الكرامة والزلفى لمن يخدم أعوان الملك واقاربه وخاصته: والكتب الآلهية كلها من اولها الى آخرها تبطل هذا المذهب وترده وتقبح اهله وتنص على انهم أعداء الله تعالى وجميع الرسل صلوات الله عليهم متفقون على ذلك من أولهم الى آخرهم وما اهلك الله تعالى من الامم الا بسبب هذا الشرك ومن اجله: واصله الشرك فى محبة الله تعالى

قال تعالى (يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ) فاخبر سبحانه وتعالى انه من احب مع الله شيئا غيره كما يحبه فقد اتخذ ندا من دونه وهذا على أصح القولين فى الآية انهم يحبونهم كما يحبون الله وهذا هو العدل المذكور فى قوله تعالى (ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ) والمعنى على أصح القولين انهم يعدلون به غيره فى العبادة فيسوون بينه وبين غيره فى الحبّ والعبادة: وكذلك قول المشركين فى النار لاصنامهم (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) ومعلوم قطعا ان هذه التسوية لم تكن بينهم وبين الله فى كونه ربهم وخالقهم فانهم كانوا كما اخبر الله عنهم مقرين بان الله تعالى وحده هو ربهم وخالقهم وان الأرض ومن فيها لله وحده وانه رب السموات السبع ورب العرش العظيم: وانه سبحانه وتعالى هو الذى بيده ملكوت كل شيء وهو يجير ولا يجار عليه: وانما كانت هـذه التسوية بينهم وبين الله تعالى فى المحبة والعبادة فمن احب غير الله تعالى وخافه ورجاه وذل له كما يحب الله تعالى ويخافه ويرجوه: فهذا هو الشرك الذى لا يغفره الله فكيف بمن كان غير الله آثر عنده واحبّ اليه وأخوف عنده وهو فى مرضاته اشد سعيا منه فى مرضاة الله فاذا كان المسوي بين الله وبين غيره فى ذلك مشركا فما الظن بهـذا فعياذا بالله من ان ينسلخ القلب من التوحيد والاسلام كانسلاخ الحية من قشرها وهو يظن انه مسلم موحد فهذا احد أنواع الشرك: والأدلة

الدالة على انه تعالى يجب ان يكون وحده هو المألوه يبطل هذا الشرك ويدحض حجج أهله وهو اكثر من ان يحيط بها الا الله بل كل ماخلقه الله تعالى فهو آية شاهدة بتوحيده وكذلك كل ماأمر به نخلقه وأمره وما فطر عليه عباده وركبه فيهم من القوى شاهد بان الله الذى لا إله الا هو وان كل معبود سواه باطل وانه هو الحق المبين تقدس وتعالى:

وواعجبا كيف يعصى الاله * ام كيف يجحده الجاحد
ولله في كل تحريكة * وتسكينة ابداً شاهد
وفى كل شيء له آية * تدل على انه واحد

والنوع الثانى من الشرك الشرك به تعالى فى الربوبية كشرك من جعل معه خالقا آخر كالمجوس وغيرهم الذين يقولون بان للعالم ربين احدهما خالق الخير ويقولون له باسان الفارسية يزدان (١) والآخر خالق الشر ويقولون له المجوس بلسانهم اهرمن: وكالفلاسفة ومن تبعهم الذين يقولون بانه لم يصدر عنه الا واحد بسيط وان مصدر المخلوقات كلها عن العقول والنفوس وان مصدر هذا العالم عن العقل الفعال فهو ربّ كل ماتحته ومدبره وهذا اشر من شرك عبّاد الأصنام والمجوس والنصارى وهو أخبث شرك فى العالم اذ يتضمن من التعطيل وجحد الالهية والربوبية واستناد الخلق الى غيره سبحانه وتعالى مالم يتضمنه شرك أمة من الأمم: وشرك القدرية مختصر من هذا وباب يدخل منه اليه ولهذا شبههم الصحابة

---

(١) وقوله يزدان معناه الله: وقوله اهرمن اي الشيطان

رضى الله عنهم بالمجوس كما ثبت عن ابن عمر وابن عباس رضى الله عنهم وقد روى اهل السنن فيهم ذلك مرفوعا انهم مجوس هذه الأمة[١] وكثيرا مايجتمع الشركان فى العبد وينفرد احدهما عن الآخر والقرآن الكريم بل الكتب المنزلة من عند الله تعالى كلها مصرحة بالرد على أهل هذا الاشراك كقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فانه ينفى شرك المحبة والالهية وقوله (وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) فانه ينفى شرك الخلق والربوبية: فتضمنت هذه الآية تجريد التوحيد لرب العالمين فى العبادة وانه لايجوز اشراك غيره معه لا فى الأفعال ولا فى الألفاظ ولا فى الارادات فالشرك به فى الافعال كالسجود لغيره سبحانه وتعالى: والطواف بغير بيته المحرم: وحلق الرأس عبودية وخضوعا لغيره وتقبيل الاحجار غير الحجر الأسود الذى هو يمينه تعالى فى الأرض او تقبيل القبور واستلامها والسجود لها[٢] وقد لعن

---

(١) لفظ رواية ابن عمر عند ابى داود وغيره «عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال القدرية مجوس هذه الأمة ان مرضوا فلا تعودوهم وان ماتوا فلا تشهدوهم» قال الخطابى فى شرح هذا الحديث فى المعالم انما جعلهم مجوسا لمضاهاة مذهبهم مذاهب المجوس فى قولهم بالأصلين وهما النور والظلمة يزعمون ان الخير من فعل النور والشر فعل الظلمة وكذلك القدرية يضيفون الخير الى الله والشر الى غيره والله سبحانه وتعالى خالق الخير والشر لايكون شىء منهما الا بمشيئته وخلقه الشر شرا فى الحكمة كخلقه الخير خيرا فان الأمرين جميعا مضافان اليه خلقا وايجادا والى الفاعلين لهما فعلا واكتسابا اه: وقال الحافظ المنذرى هذا منقطع ابى حازم سلمة ابن دينار لم يسمع من ابن عمر وقد روى هذا الحديث من طرق عن ابن عمر ليس منها شىء يثبت اه: وقد تعقبه الحافظ ابن حجر وقال هذا الحديث حسنه الترمذى وصححه الحاكم ورجاله من رجال الصحيح: والله اعلم

(٢) خرج ابو نعيم فى الحلية من حديث فضيل ابن عياض قال سمعت عبد الملك بن جريج يقول حدثنى عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

النبى صلى الله عليه وآله وسلم من اتخذ قبور الأنبياء والصالحين مساجد يصلى فيها فكيف من اتخذ القبور أوثانا تعبد من دون الله تعالى فهذا لم يعلم معنى قول الله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وآله وسلم انه قال «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور انبياءهم مساجد يحذر ماصنعوا»(١) وفيه عنه ايضا «ان من شرار الناس من تدركهم الساعة وهم أحياء والذين يتخذون القبور مساجد»(٢) وفيه ايضا عنه صلى الله عليه وآله وسلم «ان من كان قبلكم كانوا يتخذون القبور مساجد ألا فلا تتخذوا القبور مساجد فانى انهاكم عن ذلك» وفى مسند الامام احمد وصحيح ابن حبان عنه صلى الله عليه وآله وسلم «لعن الله زوَّارات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج»(٣) وقال «اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور انبيائهم مساجد» وقال «ان من كان قبلكم كانوا اذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور اولئك شرار الخلق عند الله»(٤) والناس فى هذا الباب اعنى زيارة القبور على ثلاثة أقسام: قوم يزورون الموتى فيدعون لهم وهذه هى الزيارة الشرعية: وقوم يزورونهم يدعون بهم فهؤلاء هم المشركون فى الالوهية والمحبة* وقوم

«لاتوضع النواصى الا الله تعالى فى حج او عمرة فما سوى ذلك فتلة» قال ابو نعيم غريب من حديث الفضيل لم نكتبه الا من هذا الوجه:

(١) الحديث فى الصحيحين عن أبى هريرة ورواه أيضا الأمام احمد بن حنبل

(٢) رواه الأمام احمد بن حنبل فى مسنده باسناد جيد عن عبد الله بن مسعود:

(٣) رواه ايضا أبو داود والنسائى والترمذى عن ابن عباس:

(٤) الحديث فى الصحيحين وغيرهما عن عائشة رضى الله عنها

يزورونهم فيدعونهم انفسهم وقد قال النبي صلي الله عليه وآله وسلم « اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد » * وهؤلاء هم المشركون في الربوبية وقد حمى النبي صلى الله عليه وسلم جانب التوحيد أعظم حماية تحقيقا لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) حتى نهى عن الصلاة في هذين الوقتين لكونه ذريعة الى التشبيه بعباد الشمس الذين يسجدون لها في هاتين الحالتين : وسد الذريعة بان منع من الصلاة بعد العصر والصبح لاتصال هذين الوقتين الذين يسجد المشركون فيهما للشمس :

واما السجود لغير الله فقد قال عليه الصلاة والسلام * لا ينبغي لاحد ان يسجد لاحد الا لله * ولا ينبغي (١) في كلام الله ورسوله انما يستعمل للذي هو في غاية الامتناع كقوله تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) وقوله تعالى (وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ) وقوله تعالى (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّيَاطِينُ وَمَا يَنْبَغِي لَهُمْ) وقوله تعالى (مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ)

ومن الشرك بالله تعالى المباين لقوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) الشرك به في اللفظ كالحلف بغيره كما رواه الامام احمد وابو داود عنه صلى الله عليه وسلم انه قال « من حلف بغير الله فقد أشرك » صححه الحاكم وابن حبان قال ابن حبان أخبرنا الحسن وسفيان ثنا عبد الله بن عمر الجعفي

(١) قوله لا ينبغي مبدا خبره قوله انما يستعمل

ثنا عبد الرحمن بن سليمان عن الحسن بن عبد الله النخعى عن سعيد بن عبيدة قال كنت عند ابن عمر رضى الله عنه فحلف رجل بالكعبة فقال ابن عمر رضى الله عنه ويحك لا تفعل فانى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من حلف بغير الله فقد اشرك » * ومن الاشراك قول القائل لاحد من الناس ماشاء الله وشئت كما ثبت عن النبى صلى الله عليه وسلم « انه قال له رجل ماشاء الله وشئت فقال اجعلتنى لله ندا قل ماشاء الله وحده » هذا مع ان الله تعالى قد اثبت للعبد مشيئة كقوله تعالى (لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ) فكيف بمن يقول انا متوكل على الله وعليك وانا فى حسب الله وحسبك ومالى الا الله وأنت : وهذا من الله ومنك وهذا من بركات الله وبركاتك : والله لى فى السماء وانت لى فى الارض : وزن بين هذه الالفاظ الصادرة من غالب الناس اليوم وبين ما نهى عنه من ماشاء الله وشئت ثم انظر ايها الخش يتبين لك ان قائلها أولى بالبعد من (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وبالجواب (١) من النبى صلى الله عليه وسلم لقائل تلك الكلمة وانه اذا كان قد جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم ندا فهذا قد جعل من لا يدانيه لله ندا : وبالجملة فالعبادة المذكورة فى قوله تعالى (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هى السجود والتوكل والانابة والتقوى والخشية والتوبة والنذور والحلف والتسبيح والتكبير والتهليل والتحميد والاستغفار وحلق الرأس خضوعا وتعبداً والدعاء كل ذلك محض حق الله تعالى * وفى مسند الامام احمد

(١) معطوف على قوله بالبعد يعنى اولى بالجواب الخ :

« ان رجلا اتى به النبى صلى الله عليه وآله وسلم قد أذنب ذنبا فلما وقف بين يديه قال اللهم انى اتوب اليك ولا اتوب الى محمد فقال صلى الله عليه وسلم عرف الحق لاهله » واخرجه الحاكم من حديث الحسن عن الأسود ابن سريع وقال حديث صحيح : واما الشرك فى الارادات والنيات فذلك البحر الذى لا ساحل له وقلَّ من ينجو منه فمن نوى بعمله غير وجه الله تعالى فلم يقم بحقيقة قوله (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) فان (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) هى الحنيفية ملة ابراهيم التى امر الله بها عباده كلهم ولا يقبل من احد غيرها وهى حقيقة الاسلام (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الاسْلاَمِ دِيناً فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فى الآخِرَةِ مِنَ الخاسِرِينَ) فاستمسك بهذا الاصل ورد ما اخرجه المبتدعة والمشركون اليه تتحقق معنى الكلمة الالهية * فان قيل المشرك انما قصد تعظيم جناب الله تعالى وانه لعظمته لا ينبغى الدخول عليه الا بالوسائط والشفعاء كحال الملوك فالمشرك لم يقصد الاستهانة بجناب الربوبية وانما قصد تعظيمه وقال (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وانما أعبد هذه الوسائط لتقربنى اليه وتدخل بى عليه فهو الغاية وهذه وسائل فلم كان هذا القدر موجبا لسخط الله تعالى وغضبه ومخلدا فى النار وموجبا لسفك دماء اصحابه واستباحة حريمهم واموالهم وهل يجوز فى العقل ان يشرع الله تعالى لعباده التقرب اليه بالشفعاء والوسائط فيكون تحريم هذا انما استفيد بالشرع فقط ام ذلك قبيح فى الشرع والعقل يمنع ان تأتى به شريعة من الشرائع وما السر فى

كونه لايغفر من بين سائر الذنوب كما قال تعالى (إِنَّ اللهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مادُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ) قلنا الشرك شركان* شرك يتعلق بذات المعبود واسمائه وصفاته وافعاله* وشرك فى عبادته ومعاملته وان كان صاحبه يعتقد انه سبحانه وتعالى لاشريك له فى ذاته ولا فى صفاته: واما الشرك الثانى فهو الذى فرغنا من الكلام فيه وأشرنا اليه الآن وسنشبع الكلام فيه ان شاء الله تعالى :

اما الشرك الأول فهو نوعان* احدهما شرك التعطيل وهو اقبح أنواع الشرك كشرك فرعون فى قوله (وَمَا رَبُّ العَالَمِينَ) وقال (ياهامانُ ابْنِ لى صَرْحاً لَعَلِّى أَبْلُغُ الأَسْبَابَ أَسْبَابَ السَّمواتِ فَأَطَّلِعَ إِلى إِلهِ مُوسَى وإِنِّى لَأَظُنُّهُ كاذِباً) والشرك والتعطيل متلازمان فكل مشرك معطل وكل معطل مشرك لكن الشرك لايستلزم اصل التعطيل بل قد يكون المشرك مقرا بالخالق سبحانه وتعالى وصفاته ولكنه معطله حق التوحد :

واصل الشرك وقاعدته التى يرجع اليها هو التعطيل وهو ثلاثة أقسام احدها تعطيل المصنوع عن صانعه : الثانى تعطيل الصانع عن كماله الثابت له : الثالث تعطيل معاملته عما يجب على العبد من حقيقة التوحيد: ومن هذا شرك اهل الوحدة: ومنه شرك الملاحدة القائلين بقدم العالم وأبديته وأن الحوادث باسرها مستندة الى اسباب ووسائط اقتضت ايجادها ويسمونها العقول والنفوس: ومنه شرك معطلة الأسماء والصفات

كالجهمية[١] والقرامطة وغلاة المعتزلة * النوع الثانى شرك التمثيل وهو شرك من جعل معه الها آخر كالنصارى فى المسيح واليهود فى عزير والمجوس القائلين باسناد حوادث الخير الى النور وحوادث الشر الى الظلمة: وشرك القدرية المجوسية مختصر منه وهؤلاء اكثر مشركى العالم وهم طوائف جمة منهم من يعبد اجزاء سماوية : ومنهم من يعبد اجزاء ارضية ومن هؤلاء من يزعم ان معبوده اكبر الآلهة : ومنهم من يزعم ان الهه من جملة الآلهة : ومنهم من يزعم انه اذا خصه بعبادته والتبتل اليه اقبل اليه واعتنى به: ومنهم من يزعم ان معبوده الادنى يقربه الى الأعلى الفوقانى والفوقانى يقربه الى من هو فوقه حتى تقربه تلك الآلهة الى الله سبحانه وتعالى فتارة تكثر الوسائط وتارة تقل:

فاذا عرفت هذه الطوائف وعرفت اشتداد نكير الرسول صلى الله عليه وسلم على من اشرك به تعالى فى الأفعال والأقوال والارادات كما تقدم ذكره انفتح لك باب الجواب عن السؤال *فنقول اعلم ان حقيقة الشرك تشبيه الخالق بالمخلوق وتشبيه المخلوق بالخالق : اما الخالق فان المشرك شبه المخلوق بالخالق فى خصائص الالهية وهى التفرد بملك الضر والنفع والعطاء

(١) نسبة الى جهم بن صفوان ظهرت بدعته بترمذ وقتله سالم بن احوز المازنى بمرو فى آخر ملك بنى أمية : وأصل مقالة التعطيل للصفات والأسماء مأخوذ من تلامذة اليهود والمشركين وضلال الصابئين : واول من حفظ عنه انه قال هذه المقالة فى الاسلام الجعد بن درهم واخذها عنه الجهم بن صفوان واظهرها فنسبت اليه : قيل ان الجعد اخذ مقالته بالتعطيل عن ابان بن سمعان واخذها ابان عن طالوت بن اخت لبيد بن الأعصم اليهودى الساحر :

والمنع فمن علق ذلك بمخلوق فقد شبهه بالخالق تعالى وسوى بين التراب ورب الأرباب فاى فجور وذنب أعظم من هذا

واعلم ان من خصائص الالهية الكمال المطلق من جميع الوجوه الذى لانقص فيه بوجه من الوجوه وذلك يوجب ان تكون العبادة له وحده عقلا وشرعا وفطرة فمن جعل ذلك لغيره فقد شبه الغير بمن لاشبيه له ولشدة قبحه وتضمنه غاية الظلم أخبر من كتب على نفسه الرحمة انه لايغفره ابداً * ومن خصائص الالهية العبودية التى لا تقوم الا على ساق الحب والذل فمن اعطاها لغيره فقد شبهه بالله سبحانه وتعالى فى خالص حقه وقبح هذا مستقر فى العقول والفطر لكن لما غيرت الشياطين فطر اكثر الخلق واجتالتهم عن دينهم وامرتهم ان يشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا كما روى ذلك عن الله اعرف الخلق به وبخلقه عَمُوا عن قبح الشرك حتى ظنوه حسناً * ومن خصائص الالهية السجود فمن سجد لغيره فقد شبهه به: ومنها التوكل فمن توكل على غيره فقد شبهه به. ومنها التوبة فمن تاب لغيره فقد شبهه به: ومنها الحلف باسمه فمن حلف بغيره فقد شبهه به: ومنها الذبح له فمن ذبح لغيره فقد شبهه به: ومنها حلق الرأس الى غير ذلك:

هذا فى جانب التشبيه واما فى جانب التشبه فمن تعاظم وتكبر ودعى الناس الى اطرائه ورجائه ومخافته فقد تشبه بالله ونازعه فى ربوبيته وهو حقيق بان يهينه الله غاية الهوان ويجعله كالذر تحت اقدام

خلقه : وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال «يقول الله عزوجل العظمة ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى فى واحدمنهما عذبته»(١) واذا كان المصور الذى يصنع الصور بيده من أشد الناس عذاباً يوم القيامة لتشبهه بالله فى مجرد الصنعة فما الظن بالمشبه بالله فى الربوبية والالهية كما قال صلى الله عليه وسلم «اشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون يقال لهم احيوا ماخلقتم»(٢) وفى الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم انه قال يقول الله عز وجل ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقى فليخلقوا ذرة

---

(١) الحديث اخرجه مسلم من رواية أبى سعيد الخدرى وابى هريرة بلفظ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العز ازاره والكبرياء رداؤه فمن ينازعنى عذبته» ورواه البرقانى فى مستخرجه من الطريق الذى اخرجه مسلم ولفظه «يقول الله عز وجل العز ازارى والكبرياء ردائى فمن نازعنى شيئا منهما عذبته» * ورواه أيضا أبو داود وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة بلفظ «قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال الله تعالى الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما قذفته فى النار» : ومعنى نازعنى تخلق بذلك فيصير فى معنى المشارك : قال الخطابى فى المعالم معنى هذا الكلام ان الكبرياء والعظمة صفتان لله سبحانه وتعالى واختص بهما لايشركه احد فيهما ولا ينبغى لمخلوق ان يتعاطاهما لان صفة المخلوق التواضع والتذلل : وضرب الرداء والازار مثلا فى ذلك يقول والله اعلم كما لايشرك الانسان فى ردائه وازاره فكذلك لايشركنى فى الكبرياء والعظمة مخلوق : والله اعلم

(٢) الحديث فى الصحيحين «عن عبد الله بن عمر قال سمعت النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول إن اشد الناس عذابا يوم القيامة المصورون» ورواه النسائى ايضا : وهذه الرواية لايرد عليها شيء : وفى رواية لمسلم «ان من اشد اهل النار يوم القيامة عذابا المصورون» وعليها يرد الاشكال النحوى من رفع اسم ان والجواب عنه : وفى الباب احاديث كثيرة تفيد تحريم التصوير وعلة النهى ظاهرة : وقد بينا الحكم فى ذلك والرد على من اباحه من المنتسبين الى العلم فى زماننا هذا فى تعليقنا على عمدة الاحكام فانظره : وقوله احيوا ماخلقتم اي اجعلوه حيوانا ذاروح وهذا الامر يسمى امر تعجيز : ومعنى خلقتم قدرتم وصورتم :

فليخلقوا شعيرة»[١] فنبه بالذرة والشعيرة على ماهو اعظم منهما : وكذلك من تشبه به تعالى فى الاسم الذى لاينبغى الا له كملك الملوك وحاكم الحكام وقاضى القضاة ونحوه وقد ثبت فى الصحيح عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال «ان أخنع الاسماء عند الله رجل تسمى بشاهانشاه ملك الملوك لامالك الا الله» وفى لفظ «أغيظ رجل عند الله رجل تسمى ملك الأملاك»[٢] وبالجملة فالتشبيه والتشبه هو حقيقة الشرك ولذلك كان من ظن انه اذا تقرب الى غيره بعبادة مايقربه ذلك الغير اليه تعالى فانه يخطىء لكونه شبهه به واخذ مالا ينبغى ان يكون الا له فالشرك منعه سبحانه وتعالى حقه فهذا قبيح عقلا وشرعا ولذلك لم يشرعه ولم يغفر لفاعله

واعلم ان الذى ظن ان الرب سبحانه وتعالى لايسمع له اولا يستجيب له الا بواسطة تطلعه على ذلك او تسأل ذلك منه فقد ظن بالله ظن السوء فانه ان ظن انه لايعلم او لايسمع الا باعلام غيره له واسماعه فذلك نفى لعلم الله وسمعه وكمال ادراكه وكفى بذلك ذنباً : وان ظن انه يسمع ويرى ولكن يحتاج الى من يلينه ويعطفه عليهم فقد اساء الظن بافضال ربه

---

(١) الحديث فى الصحيحين مطولا عن ابى هريرة : وقوله «ومن اظلم» اى ولا احد اظلم ممن قصد حال كونه يخلق اي يصنع : والذرة بفتح الذال المعجمة وتشديد الراء النملة الصغيرة : والغرض تعجيزهم تارة بخلق الجماد وأخرى بخلق الحيوان :

(٢) هو فى صحيح مسلم عن أبى هريرة عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم «قال ان أخنع اسم عند الله عز وجل رجل تسمى ملك الاملاك» زاد ابن أبى شيبة فى روايته «لامالك الا الله عز وجل» قال الاشعثى قال سفيان مثل شاهان شاه : وقال احمد بن حنبل سألت ابا عمرو عن أخنع فقال أوضع :

وبره واحسانه وسعة جوده * وبالجملة فاعظم الذنوب عند الله تعالى اساءة الظن به ولهذا يتوعدهم فى كتابه على اساءة الظن به اعظم وعيد كما قال الله تعالى (الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وأعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً) وقال تعالى عن خليله ابراهيم عليه السلام (أَئِفْكاً آلِهَةً دُونَ اللهِ تُرِيدُونَ فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ) اى فما ظنكم ان يجازيكم اذا عبدتم معه غيره وظننتم انه يحتاج فى الاطلاع على ضرورات عباده لمن يكون باباً للحوائج اليه ونحو ذلك : وهذا بخلاف الملوك فانهم محتاجون الى الوسائط ضرورة لحاجتهم وعجزهم وضعفهم وقصور علمهم عن ادراك حوائج المضطرين : فاما من لايشغله سمع عن سمع وسبقت رحمته غضبه وكتب على نفسه الرحمة فما تصنع الوسائط عنده فمن اتخذ واسطة بينه وبين الله تعالى فقد ظن به أقبح الظن ومستحيل ان يشرعه لعباده بل ذلك يمتنع فى العقول والفطر :

واعلم ان الخضوع والتأله الذى يجعله العبد لتلك الوسائط قبيح فى نفسه كما قررناه لاسيما اذا كان المجعول له ذلك عبداً للملك العظيم الرحيم القريب المجيب ومملوكا له كما قال تعالى (ضَرَبَ لَكُمْ مَثَلاً مِنْ أنفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ شُرَكَاءَ فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ فانْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) اى اذا كان احدكم

يأنف ان يكون مملوكه شريكه فى رزقه فكيف تجعلون لى من عبيدى شركاء فيما انا منفرد به وهو الالهية التى لا تنبغى لغيرى ولا تصلح لسواى فمن زعم ذلك فما قدرني حق قدرى ولا عظمنى حق تعظيمى * وبالجملة فما قدر حق قدره من عبد معه من ظن انه يوصل اليه قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) الآية الى ان قال (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) وقال تعالى (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) فما قدر القوى العزيز حق قدره من اشرك معه الضعيف الذليل :

واعلم انك اذا تأملت جميع طوائف الضلال والبدع وجدت اصل ضلالهم راجعا الى شيئين : احدهما الظن بالله ظن السوء : والثانى لم يقدروا الربّ حق قدره فلم يقدره حق قدره من ظن انه لم يرسل رسولا ولا انزل كتابا بل ترك الخلق سدى وخلقهم عبثا ولا قدره حق قدره من نفى عموم قدرته وتعلقها بافعال عباده من طاعتهم ومعاصيهم واخرجها عن خلقه وقدرته ولا قدر الله حق قدره اضداد هؤلاء الذين قالوا انه يعاقبه عبده على مالم يفعله بل يعاقبه على فعله سبحانه وتعالى : واذا استحال فى العقول ان يجبر السيد عبده على فعل ثم يعاقبه عليه فكيف يصدر هذا من أعدل العادلين : وقول هؤلاء شر من اشباه المجوس القدرية الاذلين : ولا قدره حق قدره من نفى رحمته ورضاه ومحبته وغضبه

وحكمته مطلقا وحقيقة فعله ولم يجعل له فعلا اختياريا بل افعاله مفعولات منفصلة عنه : ولا قدره حق قدره من جعل له صاحبة وولداً او جعل يحل فى مخلوقاته او جعله عين هذا الوجود: ولاقدره حق قدره من قال انه رفع اعداء رسوله وأهل بيته وجعل فيهم الملك ووضع اولياء رسوله وأهل بيته وهذا يتضمن غاية القدح فى الرب تعالى الله عن قول الرافضة : وهذا مشتق من قول اليهود والنصارى فى قول رب العالمين انه ارسل ملكا ظالما فادعى النبوة وكذب على الله ومكث زمنا طويلا يقول امرنى بكذا ونهانى عن كذا ويستبيح دماء ابناء الله واحبائه والرب تعالى يظهره ويؤيده ويقيم الأدلة والمعجزات على صدقه ويقبل بقلوب الخلق واجسادهم اليه ويقيم دولته على الظهور والزيادة ويذل اعدائه اكثر من ثمان مائة عام : فوازن بين قول هؤلاء وقول اخوانهم من الرافضة تجد القولين سواء : ولا قدره حق قدره من زعم انه لايحيى الموتى ولا يبعث من فى القبور ليبين لعباده الذى كانوا فيه يختلفون وليعلم الذين كفروا انهم كانوا كاذبين :

وبالجملة فهذا باب واسع والمقصود ان كل من عبد مع الله غيره فانما عبد شيطانا قال تعالى (أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) فما عبد احد أحداً من بنى آدم كائنا من كان الا وقد وقعت عبادته للشيطان فيستمتع العابد بالمعبود فى حصول غرضه ويستمتع المعبود بالعابد فى تعظيمه له واشراكه مع الله تعالى وذلك غاية رضى الشيطان ولهذا قال

تعالى (وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً يَامَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الانْسِ) اى من اغوائهم وإضلالهم (وقالَ اوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الانْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أجلنَا الَّذِى أَجَّلْتَ لَنَا قالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِيْنَ فِيهَا إلا مَاشَاءَ اللهُ إنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ) فهذه اشارة لطيفة الى السر الذى لاجله كان الشرك اكبر الكبائر عند الله وانه لا يغفر بغير التوبة منه وانه موجب للخلود فى العذاب العظيم وانه ليس تحريمه قبحه بمجرد النهى عنه فقط بل يستحيل على الله سبحانه وتعالى ان يشرع لعباده عبادة اله غيره كما يستحيل عليه ماينافض اوصاف كماله ونعوت جلاله:

واعلم ان الناس فى عبادة الله تعالى والاستعانة به اقسام أجلها وافضلها اهل العبادة والاستعانة بالله عليها: فعبادة الله غاية مرادهم: وطلبهم منه أن يعينهم عليها ويوفقهم للقيام بها نهاية مقصودهم ولهذا كان افضل مايسأل الرب تعالى الاعانة على مرضاته وهو الذى عامه النبى صلى الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل «فقال يامعاذ والله اني احبك فلا تدع ان تقول فى دبر كل صلاة اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» (١) فانفع الدعاء طلب العون على مرضاته تعالى: ويقابل هؤلاء القسم الثانى المعرضون عن عبادته والاستعانة به فلا عبادة لهم ولا استعانة بل ان

---

(١) خرجه ابو داود واحمد بن حنبل ورواه النسائى بسند قوى على ما قاله ابن حجر فى كتابه بلوغ المرام من ادلة الاحكام:

سأله تعالى احدهم واستعان به فعلى حظوظه وشهواته والله سبحانه وتعالى يسأله من فى السموات والارض ويسأله اولياؤه واعداؤه فيمد هؤلاء وهؤلاء وابغض خلق الله ابليس ومع هذا أجاب سؤله وقضى حاجته ومتعه بها ولكن لما لم تكن عونا على مرضاته كانت زيادة فى شقوته وبعده: وهكذا كل من سأله تعالى استعان به على مالم يكن عونا له على طاعته كان سؤاله مبعدا له عن الله فليتدبر العاقل هذا وليعلم ان اجابة الله لسؤال بعض السائلين ليست لكرامته عليه بل قد يسأله عبده الحاجة فيقضيها له وفيها هلاكه ويكون منعه منها حماية له وصيانة والمعصوم من عصمه الله والانسان على نفسه بصيرة:

وعلامة هذا انك تري من صانه الله من ذلك وهو يجهل حقيقة الأمر اذا رآه سبحانه وتعالى يقضى حوائج غيره يسيء ظنه به تعالى وقلبه محشو بذلك وهو لا يشعر: وامارة ذلك حمله على الأقدار وعتابه فى الباطن لها ولقد كشف الله تعالى هذا المعنى غاية الكشف فى قوله تعالى (فَأَمَّا الانسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ وأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ كَلَّا) اى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته فقد اكرمته وما ذاك لكرامته علىّ ولكنه ابتلاء منى وامتحان له ايشكرنى فأعطيه فوق ذلك ام يكفرنى فاسلبه اياه واحوله عنه لغيره وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه وجعلته بقدر لا يفضل عنه فذاك من هوانه علىّ ولكنه ابتلاء وامتحان

منى له أيصبر فاعطيه اضعاف مافاته أم يسخط فيكون حظه السخط: وبالجملة فاخبر تعالى ان الاكرام والاهانة لايدوران على المال وسعة الرزق وتقديره فانه سبحانه وتعالى يوسع على الكافر لا لكرامته ويقتر على المؤمن لالهوانه عليه وانما يكرم سبحانه وتعالى من يكرم من عباده بان يوفقه لمعرفته ومحبته وعبادته واستعانته: فغاية سعادة الأبد فى عبادة الله والاستعانة به عليها:

القسم الثالث من له نوع عبادة بلااستعانة وهؤلاء نوعان: احدهما اهل القدر القائلون بانه سبحانه وتعالى قد فعل بالعبد جميع مقدوره من الألطاف وانه لم يبق فى مقدوره اعانة له على الفعل فانه قد أعانه بخلق الآلات وسلامتها وتعريف الطريق وارسال الرسول وتمكينه من الفعل فلم يبق بعدها اعانة مقدورة يسأله اياها وهؤلاء مخذولون موكلون الى أنفسهم مسدود عليهم طريقة الاستعانة والتوحيد: قال ابن عباس رضى الله عنهما الايمان بالقدر نظام التوحيد فمن آمن بالله وكذب بقدره نقض توحيده: النوع الثانى من لهم عبادة واوراد ولكن حظهم ناقص من التوكل والاستعانة لم تتسع قلوبهم لارتباط الأسباب بالقدر وانها بدون المقدور كالموت الذى لاتأثير له بل كالعدم الذى لاوجود له وان القدر كالروح المحرك لها والمعول على المحرك الأول فلم تنفذ بصائرهم من السبب الى المسبب ومن الآلة الى الفاعل فقلّ نصيبهم من الاستعانة: وهؤلاء لهم نصيب من التصرّف بحسب استعانتهم

وتوكلهم ونصيب من الضعف والخذلان بحسب قلة استعانتهم وتوكلهم ولو توكل العبد على الله حق توكله فى ازالة جبل عن مكانه لازاله :

فان قيل ماحقيقة الاستعانة عملا قلنا هى التى يعبر عنها بالتوكل وهى حالة للقلب تنشأ عن معرفة الله تعالى وتفرده بالخلق والأمر والتدبير والضر والنفع وانه ماشاء كان وما لم يشأ لم يكن فتوجب اعتمادا عليه وتفويضا اليه وثقة به فتصير نسبة العبد اليه تعالى كنسبة الطفل الى ابويه فيما ينوبه من رغبته ورهبته فلو دهمه ماعسى ان يدهمه من الآفات لم يلتجئ الى غيرهما : فان كان العبد مع هـذا الاعتماد من اهل التقوى كانت له العاقبة الحميدة (وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ) أى كافيه

القسم الرابع من له استعانة بلا عبادة وتلك حالة من شهد تفرد الله بالضر والنفع ولم يدر بما يحبه ويرضاه فتوكل عليه فى حظوظه فاسعفه بها : وهـذا لاعاقبة له سواء كانت اموالا او رياسات أو جاها عنـد الخلق او نحو ذلك فذلك حظه من دنياه وآخرته :

واعلم ان العبد لايكون متحققا بعبادة الله تعالى الا بأصلين * احدهما متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم * والثانى اخلاص العبودية : والناس فى هذين الأصلين على اربعة اقسام : اهل الاخلاص والمتابعة فاعمالهم كلها لله واقوالهم ومنعهم واعطاؤهم وحبهم وبغضهم كل ذلك لله تعالى لايريدون من العباد جزاء ولا شكورا أعدوا الناس كاصحاب القبور

لايملكون ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياتا ولا نشورا : فانه لا يعامل احداً من الخلق الا لجهله بالله وجهله بالخلق : والاخلاص هو العمل الذى لا يقبل الله من عامل عملا صوابا عاريا منه وهو الذى الزم عباده به الى الموت قال الله تعالى (لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) وقال (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) واحسن العمل اخلصه واصوبه : فالخالص ان يكون لله والصواب ان يكون على وفق سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا هو العمل الصالح المذكور فى قوله تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ) وهو العمل الحسن فى قوله تعالى (فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا) وهو الذى امر به النبى صلى الله عليه وسلم فى قوله «كل عمل ليس عليه امرنا فهو رد»[1] وكل عمل بلا متابعة فانه لايزيد عامله الا بعدا من الله تعالى فان الله تعالى انما يعبد بامره لا بالأهواء والآراء *

---

(١) خرجه البخارى ومسلم عن عائشة رضى الله عنها بلفظ «قالت قال رسول الله صلى الله عليه واله وسلم من احدث فى امرنا هذا ماليس فيه فهو رد» وفى رواية لمسلم «من عمل عملا ليس عليه امرنا فهو رد» واخرجه ايضا ابو داود وابن ماجه : وهذا الحديث اصل عظيم من اصول الاسلام فكل عمل لا يكون عليه امر الله ورسوله فهو مردود على عامله وكل من احدث فى الدين مالم يأذن به الله ورسوله فليس فى الدين فى شىء هذا منطوق الحديث ومفهومه كل عمل عليه امره فهو غير مردود : والمراد بأمره ههنا دينه وشرعه : وفيه اشارة الى ان اعمال العاملين كلهم ينبغى ان تكون تحت احكام الشريعة فتكون احكام الشريعة حاكمة عليها بامرها ونهيها فمن كان عمله جاريا تحت احكام الشريعة موافقا لها فهو مقبول ومن كان خارجا عن ذلك فهو مردود : والله اعلم

الضرب الثانى من لا اخلاص له ولا متابعة له وهؤلاء شرار الخلق وهم المتزينون باعمال الخير يراؤن بها الناس وهذا الضرب يكثر فيمن انحرف عن الصراط المستقيم من المنتسبين الى الفقه والعلم والفقر والعبادة فانهم يرتكبون البدع والضلال والرياء والسمعة ويحبون ان يحمدوا بما لم يفعلوا : وفى أضراب هؤلاء نزل قوله تعالى (لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)

الضرب الثالث من هو مخلص فى أعماله لكنها على غير متابعة الأمر كجهال العبّاد والمنتسبين الى الزهد والفقر وكل من عبد الله على غير مراده : والشأن ليس فى عبادة الله فقط بل فى عبادة الله كما أراد الله : ومنهم من يمكث فى خلواته تاركا للجمعة ويرى ذلك قربة ويرى مواصلة صوم النهار والقيام بالليل قربة وان صيام يوم الفطر قربة وامثال ذلك

الضرب الرابع مَنْ اعمالُه على متابعة الامر لكنها لغير الله تعالى كطاعات المرائين : وكالرجل يقاتل رياء وسمعة وحمية وشجاعة وللمغنم ويحج ليقال ويقرأ ليقال ويعلم ويؤلف ليقال فهذه اعمال صالحة لكنها غير مقبولة قال تعالى (وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ) فلم يؤمر الناس الا بالعبادة على المتابعة والاخلاص فيها : والقائم بهما هم اهل (إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)

ثم اهل مقام (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) لهم فى افضل العبادة وانفعها وأحقها بالايثار والتخصيص اربعة طرق وهم فى ذلك اربعة اصناف * الصنف الاول عندهم انفع العبادات وافضلها اشقها على النفوس واصعبها قالوا لانه ابعد الأشياء من هواها وهو حقيقة التعبد والأجر على قدر المشقة ورووا حديثا ليس له اصل «افضل الأعمال احمزها» اى اصعبها واشقها وهؤلاء هم ارباب المجاهدات والجور على النفوس قالوا وانما تستقيم النفوس بذلك اذ طبعها الكسل والمهاونة والاخلاد الى الراحة فلا تستقيم الا بركوب الأهوال وتحمل المشاق * الصنف الثانى قالوا افضل العبادات وانفعها التجرد والزهد فى الدنيا والتقلل منها غاية الامكان واطراح الاهتمام بها وعدم الاكتراث لما هو منها : ثم هؤلاء قسمان فعوامهم ظنوا ان هذا غاية فشمروا اليه وعملوا عليه وقالوا هو افضل من درجة العلم والعبادة ورأوا الزهد فى الدنيا غاية كل عبادة ورأسها وخواصهم رأوا هذا مقصودا لغيره وان المقصود به عكوف القلب على الله تعالى والاستغراق فى محبته والانابة اليه والتوكل عليه والاشتغال بمرضاته فرأوا افضل العبادات دوام ذكره بالقلب واللسان : ثم هؤلاء قسمان فالعارفون اذا جاء الأمر والنهى بادروا اليه ولو فرقهم واذهب جمعهم والمنحرفون منهم يقولون المقصود من القلب جميعته فاذا جاء مايفرقه عن الله لم يلتفتوا اليه ويقولون

يطالب بالأوراد من كان غافلا فكيف بقلب كل اوقاته ورد

ثم هؤلاء ايضا قسمان منهم من يترك الواجبات والفرائض لجمعيته : ومنهم من يقوم بها ويترك السنن والنوافل ويعلم العلم النافع لجمعيته : والحق ان الجمعية حظ القلب : واجابة داعى الله حق الرب فمن آثر حق نفسه على حق ربه فليس من العبادة فى شيء * الصنف الثالث رأوا ان افضل العبادات ما كان فيه نفع متعد فرأوه افضل من النفع القاصر فرأوا خدمة الفقراء والاشتغال بمصالح الناس وقضاء حوائجهم ومساعدتهم بالجاه والمال والنفع افضل لقوله صلى الله عليه وسلم « الخلق عيال الله واحبهم الى الله انفعهم لعياله »[١] قالوا وعمل العابد قاصر على نفسه وعمل النفاع متعد الى الغير فاين احدهما من الآخر : ولهذا كان فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب : وقد قال صلى الله عليه وسلم لعلىّ « لان يهدى الله بك رجلا واحداً خير لك من حمر النعم »[٢] وقال « من دعى الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه من غير ان ينقص من اجورهم شيئا »[٣] وقال « ان الله وملائكته يصلون على معلمى الناس الخير »[٤] وقال « ان

---

(١) رواه الطبرانى فى معجمه :

(٢) رواه ابن عبد البر فى كتاب جامع بيان العلم وفضله عن سهل بن سعد ورواه الطبرانى فى المعجم الكبير عن ابى رافع بلفظ « لأن يهدي الله على يديك رجلا خير لك مما طلعت عليه الشمس وغربت »

(٣) هو فى صحيح مسلم عن ابى هريرة « ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال من دعا الى هدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه لاينقص ذلك من اجورهم شيئا ومن دعا الى ضلالة كان عليه من الاثم مثل آثام من تبعه لاينقص ذلك من اثامهم شيئا »

(٤) الحديث رواه الترمذى عن ابى امامة مطولا وقال حديث حسن صحيح : ورواه

العالم يستغفر له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحيتان فى البحر والنملة فى جحرها «قالوا وصاحب العبادة اذا مات انقطع عمله وصاحب النفع لا ينقطع عمله مادام نفعه الذى تسبب فيه : والأنبياء عليهم الصلاة السلام انما بعثوا بالاحسان الى الخلق وهدايتهم ونفعهم فى معاشهم ومعادهم لم يبعثوا بالخلوات والانقطاع ولهذا انكر النبى صلى الله عليه وسلم على أولئك النفر الذين هموا بالانقطاع والتعبد وترك مخالطة الناس : ورأى هؤلاء ان التفرغ لنفع الخلق افضل من الجمعية على الله بدون ذلك قالوا ومن ذلك العلم والتعليم ونحو هذه الأمور الفاضلة :

الصنف الرابع قالوا افضل العبادة العمل على مرضاة الرب سبحانه وتعالى واشتغال كل وقت بما هو مقتضى ذلك الوقت ووظيفته : فأفضل العبادات فى وقت الجهاد الجهاد وان آل الى ترك الاوراد من صلاة الليل وصيام النهار بل من ترك اتمام صلاة الفرض كما فى حالة الأمن : والأفضل فى وقت حضور الضيف القيام بحقه والاشتغال به : والأفضل فى وقت السحر الاشتغال بالصلاة والقرآن والذكر والدعاء : والأفضل فى وقت الآذان ترك ماهو فيه من الاوراد والاشتغال باجابة المؤذن : والأفضل فى اوقات الصلوات الخمس الجد والاجتهاد فى ايقاعها على

البزار من حديث عائشة مختصرا « قال معلم الخير يستغفر له كل شىء حتى الحيتان فى البحر » وقد ورد فى مدح العلم والعلماء احاديث كثيره تبلغ حد التواتر : والمراد بالعلم العلم النافع الذى تظهر آثاره بالمتصف به عملا وليس المراد به علم اكثر اهل الزمان المجرد عن العمل به والاخلاص :

اكمل الوجوه والمبادرة اليها فى أول الوقت والخروج الى المسجد وان بعد : والأفضل فى اوقات ضرورة المحتاج المبادرة الى مساعدته بالجاه والمال والبدن : والأفضل فى السفر مساعدة المحتاج واعانة الرفقة وايثار ذلك على الأوراد والخلوة : والأفضل فى وقت قراءة القرآن جمعية القلب والهمة على تدبره والعزم على تنفيذ أوامره أعظم من جمعية قلب من جاءه كتاب من السلطان على ذلك : والأفضل فى وقت الوقوف بعرفة الاجتهاد فى التضرع والدعاء والذكر : والأفضل فى أيام عشر ذى الحجة الاكثار من التعبد لاسيما التكبير والتهليل والتحميد وهو افضل من الجهاد الغير المتعين والأفضل فى العشرة الأواخر من رمضان لزوم المساجد والخلوة فيها مع الاعتكاف والاعراض عن مخالطة الناس والاشتغال بهم حتى انه أفضل من الاقبال على تعليمهم العلم واقرائهم القرآن عند كثير من العلماء : والافضل فى وقت مرض أخيك المسلم أو موته عيادته وحضور جنازته وتشييعه وتقديم ذلك على خلوتك وجمعيتك : والافضل فى وقت نزول النوازل وايذاء الناس لك اداء واجب الصبر مع خلطتك لهم والمؤمن الذى يخالط الناس ويصبر على أذاهم أو ايذائهم أفضل من المؤمن الذى لايخالط الناس ولا يصبر على أذاهم : وخلطتهم فى الخير أفضل من عزلتهم فيه وعزلتهم فى الشر أفضل من خلطتهم فيه : فان علم انه اذا خالطهم أزاله[1] وقلله فخلطتهم خير من

(١) قوله ازاله وقلله اى الشر المتقدم ذكره قبل :

اعتزالهم وهؤلاء هم اهل التعبد المطلق والأصناف التى قبلهم اهل التعبد المقيد فمتى خرج احدهم عن الفرع الذى تعلق به من العبادة وفارقه يرى نفسه كأنه قد نقص ونزل عن عبادته فهو يعبد الله تعالى على وجه واحد وصاحب التعبد المطلق ليس له غرض فى تعبد بعينه يؤثره على غيره بل غرضه تتبع مرضات الله تعالى : ان رأيتَ العلماءَ رأيتَهُ معهم وكذلك فى الذاكرين : والمتصدقين وأرباب الجمعية وعكوف القلب على الله فهذا هو الغذاء الجامع للسائر الى الله فى كل طريق والوافد عليه مع كل فريق : واستحضر ههنا حديث ابى بكر الصديق رضى الله عنه وقول النبى صلى الله عليه وسلم بحضوره « هل منكم احد اطعم اليوم مسكينا قال ابو بكر انا قال هل منكم احد اصبح اليوم صائما قال ابو بكر انا قال هل منكم أحد عاد اليوم مريضا قال أبو بكر انا قال هل منكم احد اتبع اليوم جنازة قال ابو بكر انا » (١) الحديث : هذا الحديث روى من طريق عبد الغنى بن ابى عقيل حدثنا نعيم ابن سالم عن انس بن مالك رضى الله عنه قال « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم جالساً فى جماعة من أصحابه فقال

(١) الحديث اخرجه ابن خزيمة فى صحيحه واورده الحافظ عبد العظيم المنذري فى كتابه الترغيب والترهيب وسكت عنه : ولفظه « عن ابى هريرة قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من اصبح منكم اليوم صائما فقال ابو بكر رضى الله عنه انا فقال من أطعم منكم اليوم مسكينا فقال ابو بكر انا فقال من تبع منكم اليوم جنازة فقال ابو بكر انا فقال من عاد منكم اليوم مريضا فقال ابو بكر انا فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ما اجتمعت هذه الخصال قط فى رجل الا دخل الجنة » .

من صام اليوم قال ابو بكر انا قال من تصدق اليوم قال ابو بكر انا قال من عاد اليوم مريضا قال ابو بكر انا قال من شهد اليوم جنازة قال ابو بكر انا قال وجبت لك » يعني الجنة : ونعيم بن سالم وان تكلم فيه لكن تابعه سلمة ابن وردان وله اصل صحيح من حديث مالك عن محمد ابن شهاب عن حميد بن عبد الرحمن بن عوف عن ابي هريرة رضى الله عنه « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من أنفق زوجين فى سبيل الله نودى فى الجنة ياعبد الله هذا خير فمن كان من اهل الصلاة نودى من باب الصلاة ومن كان من اهل الجهاد نودى من باب الجهاد ومن كان من اهل الصدقة دعى من باب الصدقة ومن كان من اهل الصيام دعى من باب الريان فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله ما على من يدعى من هذه الابواب كلها من ضرورة فهل يدعى احد من هذه الأبواب كلها قال نعم وارجو ان تكون منهم »(١) هكذا رواه عن مالك موصولا مسندا عن يحي بن يحيى ومعن بن عيسى وعبد الله بن المبارك : ورواه يحي بن بكير وعبد الله بن يوسف عن مالك عن ابن شهاب عن حميد مرسلا: وليس هو عند القعنبي لا مرسلا ولا مسندا : ومعنى قوله « من انفق زوجين » يعني شيئين من نوع واحد نحو درهمين أو دينارين او فرسين أو قميصين : وكذلك من صلى ركعتين او مشي فى سبيل الله تعالى خطوتين او صام يومين ونحو ذلك: وانما اراد والله اعلم اقل التكرار

(١) خرجه البخارى فى صحيحه فى غير موضع : ومسلم والنسائى والترمذي :

واقل وجوه المداومة على العمل من اعمال البر لان الاثنين اقل الجمع فهذا[١] كالغيث اين وقع نفع صحب الله بلا خلق وصحب الخلق بلا نفس اذا كان مع الله عزل الخلائق من البين وتخلى عنهم واذا كان مع خلقه عزل نفسه من الوسط وتخلى عنها فما اغربه بين الناس وما أشد وحشته منهم: وما اعظم أنسه بالله وفرحه به وطمأنينته وسكونه اليه:

واعلم ان للناس فى منفعة العبادة وحكمتها ومقصودها طرقا اربعة وهم فى ذلك اربعة أصناف * الصنف الأول نفاة الحكم والتعليل الذين يردون الأمر الى نفس المشيئة وصرف الارادة فهؤلاء عندهم القيام بها ليس الا لمجرد الأمر من غير ان يكون سببا لسعادة فى معاش ولا معاد ولا سببا لنجاة وانما القيام بها لمجرد الأمر ومحض المشيئة كما قالوا فى الخلق لم يخلق لغاية ولا لعلة هى المقصودة به ولا لحكمة تعود اليه منه وليس فى المخلوق أسباب تكون مقتضيات لمسبباتها وليس فى النار سبب للأحراق ولا فى الماء قوة الاغراق ولا التبريد: وهكذا الأمر عندهم سواء لافرق بين الخلق والأمر لافرق فى نفس الأمر بين المأمور والمحظور ولكن المشيئة اقتضت امره بهذا ونهيه عن هذا من غير ان يقوم بالمأمور صفة تقتضى حسنه ولا بالمنهى عنه صفة تقتضى قبحه: ولهذا الأصل لوازم فاسدة وفروع كثيرة وهؤلاء غالبهم لايجدون حلاوة العبادة ولالذتها ولا يتنعمون بها ولهذا يسمون الصلاة والصيام

(١) اسم الاشارة راجع الى الصنف الرابع العامل فى كل وقت بالأفضل فى ذلك الوقت:

والزكاة والحج والتوحيد والاخلاص ونحو ذلك تكاليف اى كلفوا بها ولوسمى مدعى محبة ملك من الملوك او غيره ماياًمره به تكليفا لم يعد محبا له * وأول من صدرت عنه هذه المقالة الجعد بن درهم :

الصنف الثانى القدرية (١) النفاة الذين يثبتون نوعا من الحكمة والتعليل لا يقوم بالرب ولا يرجع اليه بل يرجع لمحض مصلحة المخلوق ومنفعته فعندهم ان العبادات شرعت أثمانا لما يناله العباد من الثواب والنعيم : وانها بمنزلة استيفاء الأجير أجره قالوا ولهذا يجعلها سبحانه وتعالى عوضا كقوله (وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) (إِنَّمَا يُوَفَّى

---

(١) اعلم ان اول بدعة ظهرت فى الاسلام بدعة القدر وبدعة الارجاء وبدعة التشيع والخوارج. واول من تكلم فى القدر معبد الجهنى وهذه البدع ظهرت فى القرن الثانى والصحابة موجودون : وقد انكروا على اهلها : ثم ظهرت بدعة الاعتزال ولم يزل المسلمون على النهج الاول ولزوم ظاهر السنة وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم الى ان حدثت الفتن بين المسلمين والبغى على أئمة الدين وظهر اختلاف الآراء والميل الى البدع والأهواء وكثرت المسائل والواقعات والرجوع الى العلماء فى المهمات : فاشتغلوا بالنظر والاستدلال والاستنباط والنتائج وتمهيد القواعد : وانتاج القضايا والفوائد : واخذوا فى التبويب والتفصيل والترتيب والتأصيل : فاسست فرقة المعتزلة قواعد الخلاف : ونهجت منهج الفرقة والانحراف : وكان اول من اعتزل عن مجلس سيد التابعين الحسن البصري واصل بن عطاء رئيس الطائفة المعتزلة : ومذهب السلف هو المذهب المنصور والحق الثابت المأثور : واهله هم الفرقة الناجية والطائفة المرحومة التى هى بكل خير فائزة ولكل مكرمة راجية من الشفاعة والورود على الحوض ورؤية الحق وغير ذلك : فمذهب السلف حق بين باطلين : وهدى بين ضلالين : قال العلامة ابن تيمية : مذهب السلف انهم يصفون الله تعالى بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلى الله عليه وآله وسلم من غير تحريف ولا تعطيل : ومن غير تكييف ولا تمثيل . فالمعطل يعبد عدما : والممثل يعبد صنما : والمسلم يعبد رب الأرض والسما .

الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) وفى الصحيح «انما هى اعمالكم أحصيها عليكم ثم أوفيكم أيّاها» قالوا وقد سماها جزاءاً وأجراً وثواباً لانه شيء يثوب الى العامل من عمله اي يرجع اليه: قالوا ويدل عليه الموازنة فلولا تعلق الثواب بالأعمال عوضا عليها لم يكن للموازنة معنى: وهاتان الطائفتان متقابلتان: فالجبرية لم تجعل للاعمال ارتباطا بالجزاء ألبتة وجوزت ان يعذب الله من افنى عمره فى الطاعة وينعّم من أفنى عمره فى مخالفته وكلاهما سواء بالنسبة اليه والكل راجع الى محض المشيئة * والقدرية اوجبت عليه سبحانه وتعالى رعاية المصالح وجعلت ذلك كله بمحض الأعمال وأن وصول الثواب الى العبد بدون عمله فيه تنقيص باحتمال منة الصدقة عليه بلا ثمن فجعلوا تفضله سبحانه وتعالى على عبده بمنزلة صدقة العبد على العبد واعطائه مايعطيه أجرة على عمله احبّ الى العبد من ان يعطيه فضلا منه بلا عمل ولم يجعلوا للأعمال تأثيراً فى الجزاء ألبتة والطائفتان منحرفتان عن الصراط المستقيم وهوان الاعمال اسباب موصلة الى الثواب: والاعمال الصالحات من توفيق الله وفضله وليست قدراً لجزائه وثوابه بل غايتها اذا وقعت على أكمل الوجوه ان تكون شكراً على احد الأجزاء القليلة من نعمه سبحانه وتعالى فلو عذب اهل سمواته وأهل ارضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم لكان رحمته لهم خيراً من أعمالهم: وتأمل قوله تعالى (وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ

تَعْمَلُونَ) مع قوله صلى الله عليه وسلم «لن يدخل احد منكم الجنة بعمله»(١) تجد الآية تدل على ان الجنان بالاعمال والحديث ينفى دخول الجنة بالاعمال ولا تنافى بينهما لان توارد النفى والاثبات ليس على محل واحد فالمنفى باء الثمنية واستحقاق الجنة بمجرد الأعمال رداً على القدرية المجوسية التى زعمت ان الفضل بالثواب ابتداءا متضمن لتكدير المنة: والباء المثبتة التى وردت فى القرآن هى باء السببية ردا على القدرية الجبرية الذين يقولون لا ارتباط بين الأعمال وجزائها ولا هى اسباب لها وانما غايتها ان تكون امارة:

والسنة النبوية هى ان عموم مشيئة الله وقدرته لا تنافى ربط الأسباب بالمسببات وارتباطها بها: وكل طائفة من اهل الباطل تركت نوعا من الحق فانها ارتكبت لاجله نوعا من الباطل بل انواعا فهدى الله أهل السنة لما اختلفوا فيه من الحق باذنه:

الصنف الثالث الذين زعموا ان فائدة العبادة رياضة النفوس واستعدادها لفيض العلوم والمعارف عليها وخروج قواها من قوى

---

(١) الحديث فى الصحيحين. ولفظ البخارى عن ابى هريرة «قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لن يدخل احدا عمله الجنة قالوا ولا انت يارسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدنى الله بفضل ورحمة فسددوا وقاربوا ولا يتمنين احدكم الموت اما محسنا فلعله ان يزداد خيرا واما مسيئا فلعله ان يستعتب». فمذهب اهل السنة انه لايثبت بالعقل ثواب ولا عقاب بل ثبوتهما بالشريعة حتى لو عذب الله تعالى جميع المؤمنين كان عدلا منه ولكنه اخبر بانه لايفعل بل يغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين. وقد روى ابو داود وابن ماجه من حديث ابى بن كعب فى ذكر القدر (وفيه) «لو ان الله عذب أهل سمواته وأرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم ولو رحمهم كانت رحمته خيرا لهم» الحديث. والله اعلم

النفس السبعية والبهيمية فلو عطلت العبادة لا لتحقت بنفوس السباع والبهائم فالعبادة تخرجها الى مشابهة العقول فتصير قابلة لانتقاش صور المعارف فيها: وهذا يقوله طائفتان: احداهما من يقرب الى الاسلام والشرائع من الفلاسفة القائلين بقدم العالم وعدم الفاعل المختار: والطائفة الثانية من تفلسف من صوفية الاسلام ويقرب الى الفلاسفة فانهم يزعمون ان العبادات رياضات لاستعداد النفوس للمعارف العقلية ومخالفة العوائد: ثم من هؤلاء من لا يوجب العبادة الا بهذا المعنى فاذا حصل لها ذلك بقى متحيرا فى حفظ أوراده والاشتغال بالوارد عنها: ومنهم من يوجب القيام بالاوراد وعدم الاخلال بها * وهم صنفان ايضا: احدهما من يقول بوجوبها حفظا للقانون وضبطا للناموس: والآخرون يوجبونها حفظا للوارد وخوفا من تدرج النفس بمفارقتها الى حالها الأولى من البهيمية: فهذه نهاية اقدامهم فى حكمة العبادة وما شرعت لاجله ولا تكاد تجد فى كتب المتكلمين على طريق السلوك غير طريق من هذه الطرق الثلاثة او مجموعها:

والصنف الرابع هم القائلون بالجمع بين الخلق والامر والقدر والسبب فعندهم ان سر العبادة وغايتها مبنى على معرفة حقيقة الالهية ومعنى كونه سبحانه وتعالى الها وان العبادة موجب الالهية واثرها ومقتضاها وارتباطها كارتباط متعلق الصفات بالصفات وكارتباط المعلوم بالعلم والمقدور بالقدرة: والاصوات بالسمع: والاحسان بالرحمة: والاعطاء

بالجود : فعندهم من قام بمعرفتها على نحو الذى فسرناها به لغة وشرعا مصدرا وموردا استقام له معرفة حكمة العبادات وغايتها به وعلم انها هى الغاية التى خلقت لها العباد ولها ارسلت الرسل وانزلت الكتب وخلقت الجنة والنار : وقد صرح سبحانه وتعالى بذلك فى قوله (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنْسَ إلاَّ لِيَعْبُدُونِ) فالعبادة هى التى ماوجدت الخلائق كلها الا لاجلها كما قال تعالى (أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى) أى مهلا : قال الشافعى رحمه الله لايؤمر ولا ينهى : وقال غيره لايثاب ولا يعاقب وهما تفسيران صحيحان فان الثواب والعقاب مترتب على الأمر والنهى والامر والنهى هو طلب العبادة وارادتها : وحقيقة العبادة امتثالها : ولهذا قال تعالى (وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَاخَلَقْتَ هٰذَا بَاطِلاً) وقال تعالى (وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إلاَّ بِالْحَقِّ) (وَخَلَقَ اللهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزٰى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ) فاخبر الله تعالى انه خلق السموات والأرض بالحق المتضمن امره ونهيه وثوابه وعقابه : فاذا كانت السموات والأرض انما خلقت لهذا وهو غاية الخلق فكيف يقال انه لا غاية له ولا حكمة مقصودة أو ان ذلك بمجرد استئجار العمال حتى لايتكدر عليهم الثواب بالمنة : او لمجرد استعداد النفوس للمعارف العقلية وارتياضها لمخالفة العوائد :

واذا تأمل اللبيب الفرق بين هذه الأقوال و بين مادل عليه صريح

الوحى علم ان الله تعالى انما خلق الخلق لعبادته الجامعة لكمال محبته مع الخضوع له والانقياد لأمره: فاصل العبادة محبة الله بل افراده تعالى بالمحبة فلا يحب معه سواه وانما يحب مايحبه لاجله وفيه كما يحب انبياءه ورسله وملائكته لان محبتهم من تمام محبته وليست كمحبة من اتخذ من دونه أندادا يحبهم كحبه: واذا كانت المحبة له هى حقيقة عبوديته وسرها فهى انما تتحقق باتباع امره واجتناب نهيه فعند اتباع الامر والنهى تتبين حقيقة العبودية والمحبة: ولهذا جعل سبحانه وتعالى اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم عَلَما عليها وشاهدا لها كما قال تعالى (قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) فجعل اتباع رسوله مشروطا بمحبتهم لله تعالى وشرطا لمحبة الله لهم ووجود المشروط بدون تحقق شرطه ممتنع: فعلم انتفاء المحبة عند انتفاء المتابعة للرسول: ولا يكفى ذلك حتى يكون الله ورسوله أحب اليه مما سواهما: ومتى كان عنده شيء احب اليه منهما فهو الاشراك الذى لا يغفره الله: قال تعالى (قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) وكل من قدَّم قول غير الله على قول الله اوحكم به او حاكم اليه فليس ممن حبه: لكن قد يشتبه الامر على من يقدم قول احد أو حكمه او طاعته على

قوله ظنا منه انه لايأمر ولا يحكم ولا يقول الا ماقال الرسول صلى الله عليه وسلم فيطيعه ويحاكم اليه ويتلقى اقواله كذلك فهذا معذور اذا لم يقدر على غير ذلك :

وأما اذا قدر على الوصول الى الرسول صلى الله عليه وسلم وعرف أن غير من اتبعه أولى به مطلقاً أو فى بعض الأمور كمسئلة معينة ولم يلتفت الى قول الرسول صلى الله عليه وسلم ولا الى من هو أولى به فهذا يخاف عليه : وكل ما يتعلل به من عدم العلم أو عدم الفهم أو عدم اعطاء آلة الفقه فى الدين أو الاحتجاج بالاشباه والنظائر أو بان ذلك المتقدم كان أعلم منى بمراده صلى الله عليه وسلم فهى كلها تعللات لا تفيد :

هذا مع الاقرار بجواز الخطأ على غير المعصوم الا أن ينازع فى هذه القاعدة فتسقط مكالمته وهذا هو داخل تحت الوعيد فان استحل مع ذلك ثلب من خالفه وقرض عرضه ودينه بلسانه وانتقل من هذا الى عقوبته أو السعى فى أذاه فهو من الظلمة المعتدين ونواب المفسدين

واعلم أن العبادة أربع قواعد وهى التحقيق بما يحب الله ورسوله ويرضاه وقيام ذلك بالقلب واللسان والجوارح فالعبودية اسم جامع لهذه المراتب الاربع : فاصحاب العبادة حقاً هم أصحابها * فقول القلب هو اعتقاد ما أخبر الله تعالى عن نفسه وأخبر رسوله عن ربه من أسمائه وصفاته وافعاله وملائكته ولقائه وما اشبه ذلك * وقول اللسان الاخبار عنه بذلك والدعاء اليه والذب عنه وتبيين بطلان البدع المخالفة له والقيام

بذكره تعالى وتبليغ أمره: وعمل القلب كالمحبة له والتوكل عليه والانابة والخوف والرجاء والاخلاص والصبر على اوامره ونواهيه واقراره والرضاء به وله وعنه والموالات فيه والمعادات فيه والاخبات اليه والطمأنينة ونحو ذلك من أعمال القلوب التى فرضها آكد من فرض اعمال الجوارح ومستحبها الى الله تعالى أحب من مستحب اعمال الجوارح: واما اعمال الجوارح فكالصلاة والجهاد ونقل الاقدام الى الجمعة والجماعات ومساعدة العاجز والاحسان الى الخلق ونحو ذلك: فقول العبد فى صلواته (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) التزام احكام هذه الأربعة واقرار بها: وقوله (وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ) طلب الاعانة عليها والتوفيق لها: وقوله (إِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) متضمن للامرين على التفصيل والهام القيام بهما وسلوك طريق السالكين الى الله تعالى والله الموفق بمنه وكرمه والحمد لله وحده وصلى الله على من لا نبي بعده وآله وصحبه ووارثيه وحزبه:

تم الكتاب والحمد لله اولا وآخرا

﴿ فائدة ﴾

قد تقدم للمؤلف المقريزى كلام فى حلق الرأس واجمل القول فى ذلك ولما كان الحكم فى ذاته فيه تفصيل أحببنا ان تذكر هنا ما اورده الحافظ العلامة شمس الدين ابن القيم فى كتابه زاد المعاد فى هدى خير العباد: قال فى كتاب الطب من الجزء الثانى فى علاج القمل الذى فى

الرأس وازالته * وحلق الرأس ثلاثة انواع احدها نسك وقربة والثانى بدعة وشرك والثالث حاجة ودواء فالاول الحلق فى احد النسكين الحج والعمرة: والثاني حلق الرأس لغير الله سبحانه وتعالى كما يحلقها المريدون لشيوخهم فيقول احدهم انا حلقت رأسى لفلان وانت حلقته لفلان وهذا بمنزلة ان يقول سجدت لفلان فان حلق الرأس خضوع وعبودية وذل ولهذا كان من تمام الحج حتى انه عند الشافعى رحمه الله تعالى ركن من أركانه لايتم الا به فانه وضع النواصى بين يدى ربها خضوع لعظمته وتذلل لعزته وهو من أبلغ انواع العبودية : ولهذا كانت العرب اذا ارادت اذلال الأسير منهم وعتقه حلقوا رأسه واطلقوه : فجاء شيوخ الضلال والمزاحمون للربوبية الذين اساس مشيختهم على الشرك والبدعة فارادوا من مريديهم ان يتعبدوا لهم فزينوا لهم حلق رؤسهم لهم كما زينوا لهم السجود لهم وسموه بغير اسمه وقالوا هو وضع الرأس بين يدى الشيخ : ولعمر الله ان السجود لله هو وضع الرأس بين يديه سبحانه وتعالى وزينوا لهم ان ينذروا لهم ويتوبوا لهم ويحلفوا باسمائهم :

وهذا هو اتخاذهم أربابا من دون الله قال تعالى (مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ

أَرْبَاباً أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُمْ مُسْلِمُونَ) واشرف العبودية عبودية الصلاة وقد تقاسمها الشيوخ والمتشبهون بالعلماء والجبابرة فاخذ الشيوخ منها اشرف مافيها وهو السجود : وأخذ المتشبهون بالعلماء الركوع فاذا لقى بعضهم بعضاً ركع له كما يركع المصلى لربه سواء وأخذ الجبابرة منهم القيام فيقوم الاحرار والعبيد على رؤسهم عبودية لهم وهم جلوس : وقد نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الأمور الثلاثة على التفصيل فتعاطيها مخالفة صريحة له : فنهى عن السجود لغير الله وقال « لاينبغى لاحد ان يسجد لاحد » وانكر على معاذ لما سجد له وقال « مه » وتحريم هذا معلوم من دينه ضرورة : وتجويز من جوزه لغير الله مراغمة لله ورسوله وهو من أبلغ أنواع العبودية فاذا جوز هذا المشرك هذا النوع اليسير فقد جوز عبودية غير الله : وقد صح « انه قيل له الرجل يلقى اخاه اينحنى له قال لا قال أيلزمه ويقبله قال لا قيل ايصافحه قال نعم » وايضا فالانحناء عند التحية سجود : ومنه قوله تعالى (وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً) اى منحنين والا فلا يمكن الدخول على الجباه : وصح عنه النهى عن القيام وهو جالس كما يعظم الأعاجم بعضها بعضا (١) حتى منع

(١) الحديث رواه أبو داود وابن ماجه : قال الحافظ عبد العظيم المنذرى واسناده حسن ابو غالب فيه واسمه حزور ويقال نافع ويقال سعيد بن الحذور فيه كلام طويل ذكرته فى مختصر السنن وغيره والغالب عليه التوثيق وقد صحح له الترمذي وغيره : اه : ورواه ايضا الترمذى فى الشمائل : وفى مشروعية القيام للناس خلاف والصحيح التفصيل والجمع بين الأحاديث : وقد الف الأمام النووى فى ذلك رسالة وذكرها صاحب المدخل فى كتابه وتعقبه فى كثير منها ورد كلامه فى جواز القيام فعليك بمطالعته فانه يغنيك :

من ذلك فى الصلاة وامرهم اذا صلى جالسا ان يصلوا جلوسا وهم اصحاء لاعذر لهم لئلا يقوموا على رأسه وهو جالس [١] مع ان قيامهم لله فكيف اذا كان القيام تعظيما وعبودية لغيره سبحانه وتعالى :

والمقصود ان النفوس الجاهلة الضالة اسقطت عبودية الله سبحانه وتعالى واشركت فيها من تعظمه من الخلق فسجدت لغير الله وركعت له وقامت بين يديه قيام الصلاة وحلفت بغيره ونذرت لغيره وحلقت لغيره وذبحت لغيره وطافت بغير بيته وعظمته بالحبّ والخوف والرجاء والطاعة كما يعظم الخالق بل أشد وسوت بين من يعبده من المخلوقين برب العالمين .

هؤلاء هم المضادون لدعوة الرسل وهم الذين بربهم يعدلون وهم الذين يقولون وهم فى النار مع آلهتهم يختصمون (تَاللهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ العَالَمِينَ) وهم الذين قال فيهم (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللهِ أَنْدَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللهِ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبّاً لِلّٰهِ) وهذا كله من الشرك والله لا يغفر ان يشرك به فهذا فصل معترض فى هديه فى حلق الرأس ولعله اهم مما قصد الكلام فيه والله اعلم

---

(١) أخرجه مسلم فى صحيحه من حديث ابى الزبير عن جابر « انهم لما صلوا خلفه قعودا قال فلما سلم قال ان كدتم انفا تفعلون فعل فارس والروم يقومون على ملوكهم وهم قعود فلا تفعلوا »

فهرست كتاب تجريد التوحيد المفيد

﴿ تطلب هذه الكتب وغيرها من ﴾

(إدارة الطباعة المنيرية بشارع الكحكيين نمرة ١ بمصر)

